المحاضرة التاسعة

الاتجاه السياسي- الاجتماعي

ابن خلدون

هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، الشهير بـ ابن خلدون. ولد في تونس عام ٧٣٢هـ (١٣٣٢م).

- الأصل: تعود أصول أسرته إلى "حضرموت" باليمن، وهم من العرب الذين دخلوا الأندلس مع الفتح الإسلامي واستقروا في إشبيلية، حيث كانوا أسرة ذات نفوذ سياسي وعلمي كبير.

- الهجرة: انتقلت أسرته من إشبيلية إلى شمال أفريقيا (تونس) في القرن السابع الهجري هرباً من زحف الإسبان.

. التكوين العلمي (الثقافة والأساتذة)

تميز ابن خلدون بتعليم موسوعي شمل:

- العلوم الشرعية: درس القرآن الكريم، القراءات، التفسير، الحديث، والفقه على يد والده وكبار علماء تونس.

- العلوم العقلية واللغوية: أخذ الفلسفة والمنطق عن محمد بن إبراهيم الآبلي (شيخ العلوم العقلية)، كما برع في علوم اللغة والنحو وعلم الكلام.-

. حياته السياسية (حياة القلق والترحال)

كان ابن خلدون طموحاً جداً، وعاش حياة مليئة بالتقلبات:

- تنقل بين إمارات المغرب والأندلس، وخدم سلاطين بني مرين وبني حفص.

- شغل مناصب سياسية رفيعة (الوزارة والحجابة)، لكنه تعرض للسجن والمؤامرات بسبب المنافسات السياسية.

- العزلة الكبرى: بعد تعبه من السياسة، اعتزل لمدة ٤ سنوات في "قلعة ابن سلامة" بالجزائر، وهناك كتب الجزء الأول من تاريخه الضخم وهو "المقدمة".

- المرحلة المصرية ولقاء تيمورلنك

- انتقل إلى مصر (القاهرة) هرباً من اضطرابات المغرب، ووصفها بأنها "مركز الكون".

- تولى منصب قضاء المالكية عدة مرات، وكان حازماً في إصلاح القضاء مما جلب له عداء الكثيرين.

- لقاء التاريخ: قابل القائد المغولي "تيمورلنك" عند أسوار دمشق بصفته مفاوضاً، وأعجب تيمورلنك بذكائه وعرض عليه البقاء معه، لكن ابن خلدون فضّل العودة لمصر.

- ملامح فكره ومنهجه

-مؤسس علم الاجتماع: هو أول من وضع قوانين "العمران البشري" وكيفية نشوء الدول وسقوطها.

- المنهج التجريبي: لم يكتفِ بنقل الأخبار (كما فعل المؤرخون قبله)، بل كان ينقد الروايات بناءً على العقل والواقع (هل هذا الخبر ممكن الحدوث منطقياً أم لا؟).

- النزعة العقلانية: رغم أنه كان "أشعري السلوك" في حياته الشخصية، إلا أنه في كتبه كان يعتمد على "النظر والتبصر" والقياس المنطقي لفهم أحداث التاريخ.-

ضرورة الاجتماع الإنساني (الفرع الثاني)

يرى ابن خلدون أن الإنسان "مدني بالطبع"، أي أنه لا يستطيع العيش وحيداً لسببين:

- الحاجة إلى الغذاء: الفرد الواحد لا يستطيع توفير طعامه بنفسه (زراعة، حصاد، طحن، خبز)، بل يحتاج لتعاون الجماعة.

- الحاجة إلى الحماية: الإنسان ضعيف بمفرده أمام الحيوانات المفترسة أو الأخطار، فاجتماع البشر ضرورة للبقاء والدفاع عن النفس.-

- التمييز بين البداوة والحضارة يرى ابن خلدون أن المجتمع البشري يمر بمرحلتين أساسيتين متعاقبتين:

- طور البداوة: هو الطور الأول حيث يقتصر الناس على الضروريات (غذاء، زراعة، تربية ماشية). يتميز أهله بالشجاعة والخشونة وقوة "العصبية".

- طور الحضارة: هو طور الترف، حيث تظهر الفنون والصناعات والكماليات (مباني فخمة، ملابس مزركشة). هنا تحل "الصناعة" محل "الضرورة".

- مفهوم "العصبية" (سر قوة الدولة)

العصبية هي الرابطة التي تجمع الجماعة وتجعلهم يدافعون عن بعضهم.

- أساسها: غالباً ما تكون قرابة النسب (الدم)، لكن ابن خلدون يرى أنها قد تقوم أيضاً على "الحلف" أو "المصاهرة" أو "الولاء".

- وظيفتها: هي المحرك الذي يدفع القبيلة للمطالبة بالملك والحكم. فمن لديه "عصبية" أقوى هو من يستطيع التغلب على الآخرين وتأسيس دولة.

- أجيال الدولة (دورة حياة الدولة)

يشبّه ابن خلدون الدولة بالكائن الحي؛ تولد، تنضج، تهرم، ثم تموت. وحدد عمر الدولة غالباً بـ٣ أجيال (حوالي ١٢٠ سنة):

- أطوار الدولة الخمسة

يفصل ابن خلدون مراحل حكم الأسرة الواحدة في خمسة أطوار:

١.طور الظفر والاستيلاء: طور تأسيس الدولة والقضاء على المنافسين.

٢.طور الاستبداد: ينفرد الحاكم بالسلطة ويقمع "عصبيته" (أقاربه) لكي لا ينافسوه في الحكم، ويستعين بـ "الموالي" (رجال من خارج قبيلته).

٣.طور الفراغ والدعة: طور جباية الأموال، وبناء القصور، وتخليد الآثار.

٤.طور القنوع والمسالمة: يكتفي الحاكم بما بناه أسلافه ويحاول الحفاظ على "الوضع القائم" دون طموح جديد.

٥.طور الإسراف والتبذير: وهو الطور الأخير، حيث تضيع أموال الدولة على الشهوات، ويفسد الحاشية، وتنهار الدولة ويسهل افتراسها من عدو خارجي.